

ضياء العزاوي الفنان . والعصر .. والحضارة

* أحاول أن أحقق النموذج الذي يعكس مطابقة ناضجة بين انسان هذه المنطقة بحضارته وبين واقعه المعاش .

* أنا أرسم لكي أتعرف على العالم من خلال تجربتي الخاصة .

* الفن الراهن في العراق لم يتمكن بعد من امتلاك شخصية مستقلة .

* ان معرفة النفس بعيداً عن التزييف الفكري والفني ستمنحنا الثقة بتخطي مرحلة السقوط . . .

الحكاية والتحجر . وهذا لا يعني ان تكون معتمدة على المباشرة الشكلية والموضوعية والتي تميزت بها فترة الخمسينات لدى اكثر الفنانين ، والتي قد تكون من أبرز الحياض التي تهدد فننا وتجعله اسيراً لعبودية المظهر الخارجي فقط .

* وماذا تحاول ان تحقق في اعمالك الفنية ؟

— أحاول ان احقق النموذج الذي يعكس مطابقة ناضجة بين انسان هذه المنطقة بحضارته ، وبين واقعه المعاش . . . وهي تستند اساساً على التعامل مع التراث من خلال رؤيا عصرية . . اي تخطي اسلوب الانتقائية من التراث وتحقيقتها بشكل يجردها من زمانية الماضي الذي يختلف عنا . . .

ان استخدام الحاصل التاريخي ككل ، سواء كان ذلك عن طريق الشكل يختلف الوحدات (الكتابة ، والتعاويد السحرية ، والدمى البدائية ، بالاضافة الى الرسومات الاسلامية) ، او عن طريق المضمون الذي يجعل من ذلك الحاصل الجسر المؤدي لمعالجة المستقبلية . . يجعل من نتاجنا الفني مورداً خصباً ورائعاً للفترة التي نعيشها ، ويكون الهوية التي تمنح وجودنا التبرير .

* ممارستك للرسم .. ماذا تعتبرها ؟

— موقف حياتي تجاه العالم الخارجي احاول ان احقق من خلاله النموذج التشكيلي الذي يعكس خصوصية هذا المجتمع بكل ما فيه من قيم . وهي انتهاء للانسان بالتعبير عن ذاته في تناول والرؤية من خلال الوعي بمدى المسؤولية التاريخية في بناء عالم المستقبل .

الى خطوط وتجسيدات لونية تحمل خصائص الشعر ، من رؤيا ، وحوار ، وتحول للانفعالات . . ولكن الموضوع يبقى بلا صوت رابضاً وراء الاشكال ، تفسره العين والاحساس . . .

لا أدري هل اعطيت صورة عن ضياء العزاوي الفنان ؟ . . . عل هذا الحوار يكمل الصورة :-

* كيف تتحدث عن نفسك ، وعن فنك ؟

— الحديث عن اتجاهي في الرسم ، ينطلق ، اساساً ، من ارضية انتائية للمقطع الحضاري المتمثل فيما قدمه انساننا منذ سومر ومروراً بالنتاجات الاخرى الى جنب الحاصل الفولكلوري . ولا اقصد بذلك انتفاء الاسلوب كشكل ومضمون للتراث هو النموذج التشكيلي الوحيد الذي يمكن أن يعكس طبيعة بيئتنا . . .

قد تكون هناك انتفاءات اخرى ، لكنها تظل في رأبي فاقدة عنصراً مهماً ، وهو خصوصية الفنان كإنسان يعيش ضمن مجتمع انساني وبيئة فكرية ومكانية معينة .

قد تبرز مسألة الانعزال عن المسيرة العالمية في مجال الفن . وعن المدى الذي يمكن أن يحققه الاعتماد على التراث في دفع الفن التشكيلي الى جانب الفنون العالمية الاخرى من ناحية الجودة . . عند ذلك تبرز اهمية الفهم المعتمد على الدراسة والبحث للتراث ، بغية معرفة الانجازات الدينية والفكرية والاجتماعية التي اوجدت تلك النتاجات ، ومدى امكانية الاستفادة منها وايجاد استعارات تشكيلية ، مضموناً وشكلاً ، تتخذ صفة المعاصرة دون ان تقع في هوة

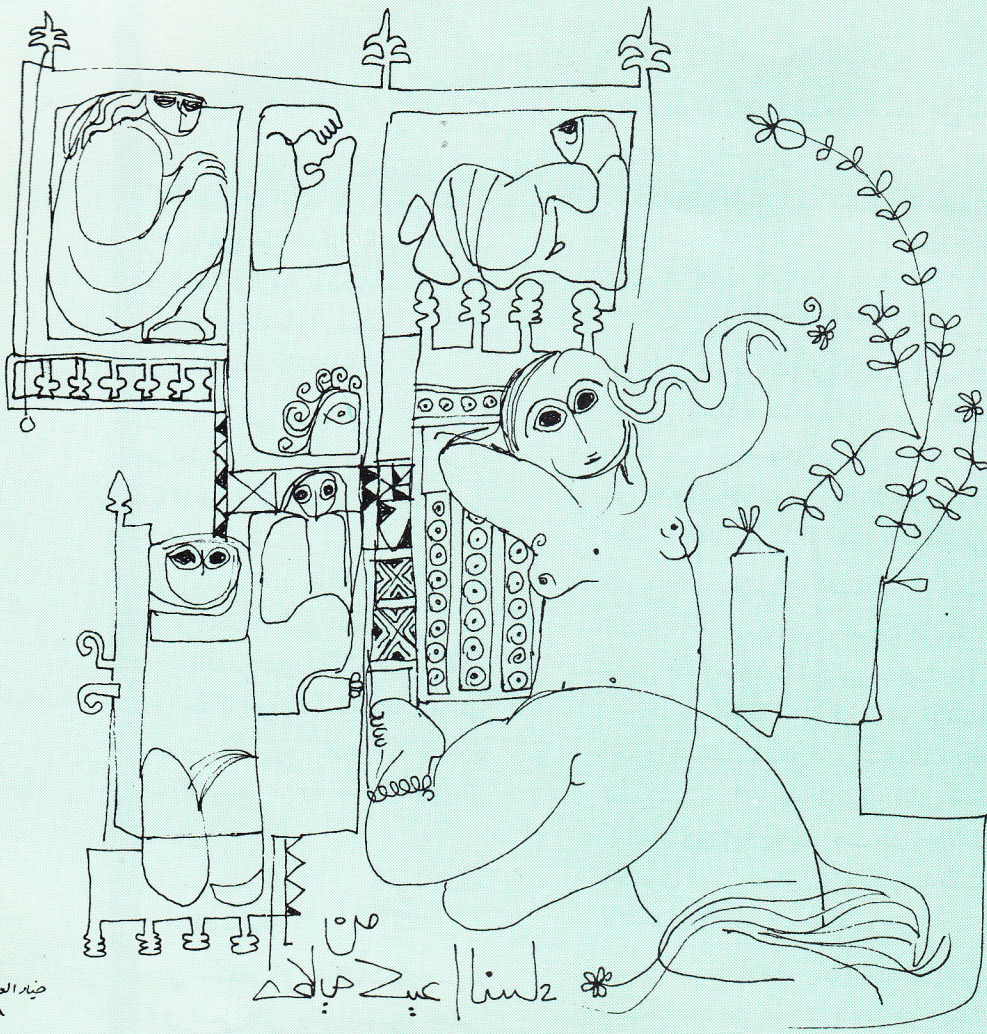
ضياء العزاوي ، فنان يبحث بدأب عن خط عراقي اصيل لفنه . . خط يتجلى فيه وضوح الحياة في مجتمعه . . . ولهذا فهو يلجأ الى الحضارات القديمة . . الى الرموز الدينية . . الى الاساطير الشعبية . . ومن خلالها يحقق التوحد بينها وبين العصر ، باعتبارها رمزاً من عصر سالف يمتد بدلالاته الى عصرنا .

انه ينطلق من نقطة بدء حقيقية . . من اشكال ورموز يحاول أن يوقظ فيها روحاً جديدة ، ويمنحها التجدد من خلال رؤياه . انها عملية مزوجة بين طاقة وطاقة ، وحركة وحركة من خلال تداخل نفسي ، او تجريد بصري يعود الى المعرفة :

القب التي لا تنتهي في أفقها الخيالي . . المآذن . . الارض التي تشابكت عليها العصور ودار البشر ، يتمزق احياناً ، ويهدوء اخرى . . بثورة وتمرد مرة ، وبقلق مزمن وهواجس خفية ومتأججة في الداخل مرات . هذه كلها مادة لريشة هذا الفنان الذي امتلأت رؤياه الفنية بحس كوني ، قد يكون مدهشاً وتجسده . الحب ، الموت ، والميلاد : ابعاد ثلاثة تتحرك ضمنها اشكال هي بنت الصدفة احياناً ، وبنت الوعي التام احياناً اخرى . . ونتيجة امتثال ، ثالثة .

ليس الشكل عنده بديلاً لهذه الاشياء . . انه صميمها ، وبقدر ماتحمل من عوالم عظيمة مدمرة ، فان لها نفس الظلال في ما يتجسد أمامنا على الخامة .

لوحه ايقاع خاص عند « ضياء » ، كما للشعر تماماً ، وهذا العنصر مستمد من قدرته على تحويل الانفعالات والرؤى



• وما ابعاد هذا الموقف ؟

– أبعاد هذا الموقف ، او الانتهاء ، انه شمولي ، يرفض العزلة والتقوقع على الذات والتعامل مع الانسان في كل مكان من خلال كونه موجوداً خلاقاً يمارس موجوديته في بناء قيم مستقبلية أفضل .

• لماذا . . . ولمن ترسم ؟

– لكي اتعرف على العالم من خلال تجربتي الخاصة . . . انها عملية تحويل لهذه التجارب النفسية والخارجية الى موجود عيني ذي فعل موجه في المجتمع . لا احاول أن تكون اعلمي موجهة لغير خدمة الانسان الذي يحاول ان يمتثل ما يحيطه من تيارات خارجية لكي يعطيه مرة أخرى .

• وهل رؤيتك للانسان متعادلة ؟

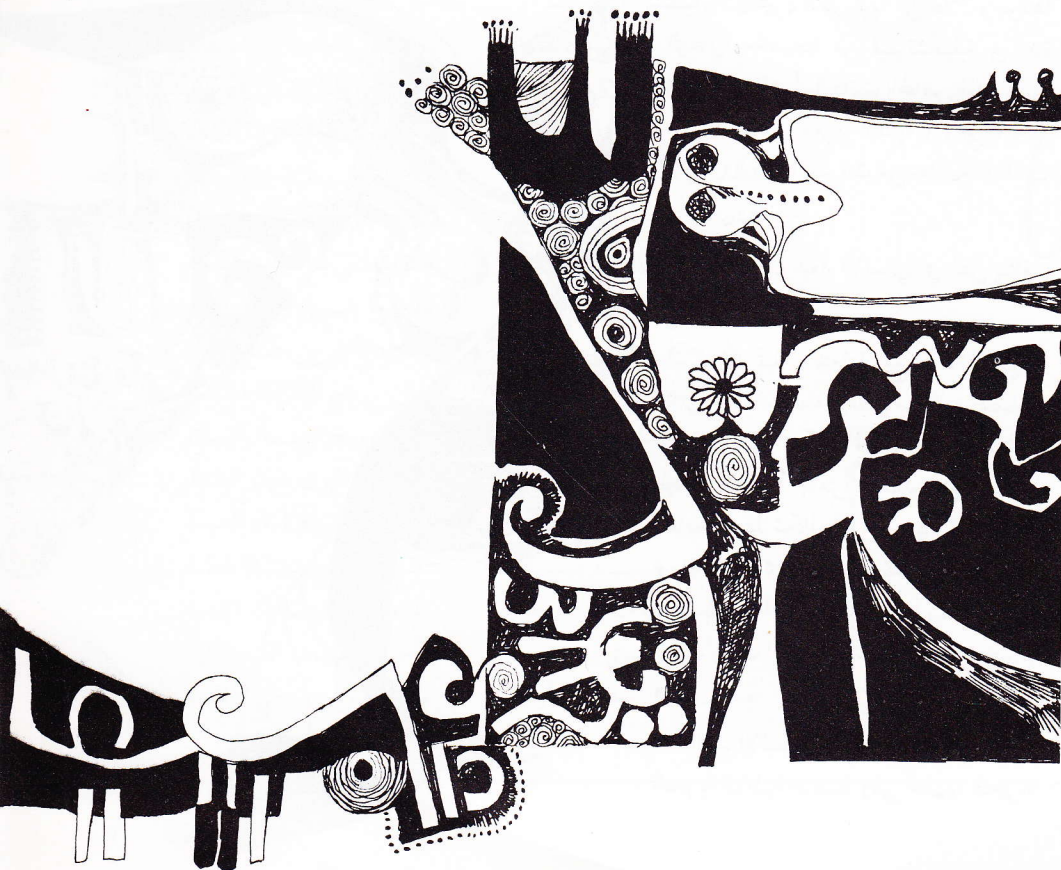
– لا . . . انها تختلف باختلاف الرؤية والقدرة على الغوص وراء المظهر الخارجي ومدى التركيز على الجوانب الايجابية منه بغية خلق عالم حضاري وانساني يحقق عنه تفاعله مع الثقافة العالمية وجوداً جديداً يلائم الواقع الذي ينشده .

• الى اي مدى تؤمن بالتلقائية في العمل الفني ؟

– بالرغم من كون مادة التجربة الفنية لم تنبعث من اللاشيء ، إلا انني أؤمن بالتلقائية بصورة نسبية وان كنت اميل الى ان تكون لوحاتي بلورة لتحضيرات سابقة كتخطيط او دراسة .

• ماهي القيمة التشكيلية التي تعمل دائماً على ابراز خصائصها في انجازاتك واعمالك الفنية ؟

– هذا السؤال يترادف مع الرغبة في معرفة القيمة الحقيقية التي تمنحها معرفة الوجود الوطني كذات تمتلك خصائصها وفرديتها من خلال عملية ابتكار للصور المتلائمة مع شخصية انسان هذه المنطقة دون ان تكون معزولة عن المسيرة الحضارية المتطورة في العالم . انها كشف متجدد وخصب لعلاقة الانسان بهذه الارض . . . ولهذا احاول ان احقق في اعلمي ممارسة متكاملة من اجل معاملة التراث (القديم والاسلامي والتولكلوري) كوحدة لا فرق بين حاصلها الحضاري في سبيل ايجاد النموذج الفني المنتج حيث تمتد جذوره في الماضي ، وفروعه



في المستقبل . . . وهو تجاوز له بقدر ما هو
اتباق منه . . .

كما أحاول ان أؤكد على الرؤيا الشعرية
للتجربة بالاعتماد على الشكل الملحمي للحدث
بتعدد الصور والرموز والكتابات في النتائج
الواحد ، مما يجعله مثيراً ومستمرّاً في تقديم
التجارب الحسية والانفعالية . . .

وهذا لا يعني ان يتحقق ذلك بعملية
اسقاط خارجي ، وانما هي رؤية شمولية
تنسب للوحة الفنية نفسها بما تعكسه من
امثال لتجارب نفسية وحضارية مترسبة في
اللاوعي الانساني . . . وهذا فلوحة نوعها
الخاص من الشعر الذي يختلف عن شعر
الكلام . فالشعر الذي تعكسه اللوحة يحقّقه
اللون والخط لترجيحات تخيلية مبتدعة قوامها
التجارب الانسانية . فللقن — كما يقول
هربرت ريد — لغة نوعية خاصة تقوم على
الرمز لاعلى العلامات .

* حين تباشر رسم لوحة . . . ماهي المشكلة
التي تواجهك دائماً ؟

— الرغبة في استفاد كل امكانات التجربة
النفسية في العمل الفني والتي تسبب في بعض

الاحيان الغاء لمحاولات جيدة من أجل نهاية
مركزية . وقد تحقق ذلك في بعض الاعمال ،
ولكن هذا لا يعني ايضاً انها النهاية الجيدة .

* الفن الراهن في العراق . . . هل تعتقد انه
استطاع ان يؤكد شخصية مستقلة ؟

— في رأسي ان الفن العراقي الراهن لم يتمكن
بعد من امتلاك هذه الصفة ، وهي بالطبع
مسألة « ليست بالسهلة » . . . كل ما يمكن قوله
هو انه هناك تجارب سارها المرحوم جواد
سليم ، والفنان شاكر حسن اعتماداً على
التاريخ الاسلامي في الغالب الى جنب
تأثيرات أخرى من الفنون العراقية القديمة . .
ولكن هذه المحاولات لم تتبلور ، حيث توفي
« جواد » ، وانتقل « شاكر » نحو الاتجاه
الصوفي الرفض للشكل ، واصبحت اعماله
تقترب من التجريد الموسيقي الذي قاده
كاندنسكي كما كانت هناك محاولات
اخرى لبعض الفنانين ، ولكنها ظلت
لا تشكل خطأ عاماً في اتجاههم .

من هذا نلاحظ بأن اتجاهنا الفني
لم يتمكن بعد من امتلاك قاعدة فنية صلبة
تمكثه من تميزه كأسلوب . . . ولا يعني هذا
التقليل من القيمة التاريخية والتشكيلية لهذه
المحاولات ، ولا هي الغاء لما حقق من نجاح
فنية ، لأن مجرد النظر اليها من خلال وجودها
الزمني وما منحته من قيم تشكيلية جيدة
تجعلنا ندرك بأنها كانت المخاض المؤلم الذي
مكن فننا من معرفة البداية ، والتي منحتنا
الثقة في النظر الى التراث من خلال مشاهدات
الحاضر وفلسفته .

* هل تعتقد ان البعد الانساني في الفن يتناهى
مع المحلية فيه ؟

— لست ممن يميلون للتعامل مع هذا المصطلح
الذي طالما استعمله البعض من الذين يفضلون
رؤية انفسهم بمرآة الآخرين . ان المحلية
ليست شيئاً جاهزاً يعتمد على المباشرة
العاطفية والاشكال اليومية ، بل تجربة فرد
وبيئة تحقق ممارسة بقطة للذات الوطنية . .
وهي بالتالي اغناء للبعد الانساني لأنها موقف
يعري زيف الانسان الذي تحركه خيوط
فوقية . . .

البعد الانساني الاصيل يتأتى من خلال
التجربة الباطنية الاصيلية والتي تحقّقها التجربة

التجسيمية الى موجود فني تدركه العين . . .

انها محلية كازنتراكي في « زوربا » ، والسياب
في حنينه الى جيكر ، ورفيرا في حضارية
جدارياته المكسيكية . وهذا تكون
« الاستنساخية » ، وليست المحلية المنفتحة
على العالم بجميع حضاراته ، هي التي تتناقض
مع العالمية . ان ما يمنح النتائج الفني عالمية هو
اصالة موقف الفنان كإنسان تجاه العالم ،
وبالتالي خصوصية رؤياه وعالمه التشكيلي . .
ولا يعني ذلك اننا ننشد « يوتوبيا فنية » ،
وانما هو تكثيف لانساننا الحضاري ،
وبالشكل الذي يجعله مبرراً وجوده زمانياً
وحضارياً ، على الاقل .

* هذا الفن . . . الى اين ؟

— طالما ارتفعت الاصوات بجودة مستوانا
الفني بالنسبة للدول المجاورة ، وهو امر مفرح
ومرعب بنفس الوقت . . . مفرح ان تتمكن
من استعادة الثقة ببلدنا كحضارة ، ومرعب
ايضاً ان نظل نراوح على هذه الاصوات .
في الوقت الحاضر هناك محاولات تحمل
زخم الدفع للامام الى جنب تراجعات مؤلمة
لتجارب طالما كانت شواهد لتقدمنا في
السابق . . . ويذكرني التساؤل « الى اين »
باولئك الذين يظنون في صحراء كل ما فيها
طريق نحو مدينة مزدهرة . . .

اني شخصياً لم أطرح السؤال على نفسي
بهذه المباشرة ، لأنني لا أومن بوضع
العلامات امامنا قبل ان نصل . . . ان معرفة
النفس بعيداً عن التزييف الفكري والفني
ستمنحننا الثقة بتخطي مرحلة السقوط . . .
فالفن العراقي اليوم يقف عند مفترق طريق
العالمية من نأذج تشكيلية ترتبط بتجارب
المدارس الحديثة في اوربا ، بعيداً عن تحقيق
الهوية الوطنية ، وآخر على الطرف المقابل
منه ، والذي يؤمن ابتكار شخصية محلية هي
استمرار بصورة متجددة للكشوف المعاصرة
من خلال التراث الحضاري للبلد .

* ومن هو رسامك المفضل ؟

— ليس لدي رسام أفضله ، وانما تجارب
ورؤيا الفنانين مختلفين . . .

افضل في روسو عالمه الخيالي الحزين .
وشاكال في حبه لمدينته ، ورفيرا في اصالته
المكسيكية ، وجواد سليم في اصراره على
تخطي التجارب الجاهزة .

